الاتجاه الوظيفي في دراسة المعنى

أ.م .د. نجاح فاهم العبيدي كلية التربية / جامعة كربلاء
أ. م. آلاء عبد نعيم كلية الآداب / جامعة واسط

الاتجاه الوظيفي في اللغة :

يعنى الاتجاه الوظيفي بكيفية استخدام اللغة بوصفها وسيلة اتصال يستخدمها أفراد المجتمع للتوصل إلى أهداف وغايات معينة ، والجانب الوظيفي ليس شيئاً منفصلاً عن النظام اللغوي نفسه فتداخل الأدوار والمشاركين في النظام النحوي حسب نمط معين في كل لغة مرتبط ارتباطاً مباشرا بالوظيفة التي تؤديها الجمل في السياقات المختلفة [1]

يقول هاليداي: ((إذا كان بإمكاننا أن نغير مستوى الرسمية Formality في كلامنا أو كتابتنا ، أو أن ننتقل بحرية من نمط سياقي معين الى نمط آخر ، فنستعمل اللغة تارة لتخطيط نشاط منظم ، وتارة لإلقاء محاضرة عامة ، وتارة لتدبير شؤون الأولاد فلأن طبيعة اللغة على شاكلة بحيث إن جميع هذه الوظائف مبنية حسب طاقتها الاستيعابية الكلية)) [2] وقد أطلق على تصنيف هذه الوظائف ضمن نظام يعبر عن استخداماتها بـ (النحو النظامي)

Systemic grammar .[3] فالاتجاه الوظيفي يربط بين النظام اللغوي وكيفية توظيف هذا النظام لأداء المعنى ويتمثل ذلك في أمور. [4]

الأول : وجود عدد من الخيارات المتاحة للمتكلم والمتمثلة في الأبنية ، والتراكيب الموجودة في لغته ، فكل تركيب يؤدي وظيفة مختلفة عن غيره وعندئذ يمكن للمتكلم تنظيم كتل الكلام طبقاً لظروف الكلام. الثاني : صلة اللغة بالبنى الاجتماعية كافة . إذ لا يمكن فصل اللغة عن الثقافة :(التراث والعادات، والتقاليد) فالظواهر الاجتماعية المختلفة تفرض على المتكلم سلوكاً لغوياً معيناً ، ويتضح ذلك في أساليب التخاطب التي ينتقيها المتكلم في المواقف المختلفة ، فالحديث إلى رئيس الدولة يختلف عن الحديث إلى الصديق ، فضلاً عن هذا فإنَّ الكلام يعكس الخلفية الاجتماعية والثقافية للفرد ، فالبنية الاجتماعية تنعكس في التراكيب اللغوية التي نستعملها فاللكنة التي يتحدث بها الشخص تعكس مظهراً اجتماعياً حينما نسمع لكنة الصعيدي وهو يتحدث باللهجة

المصرية ، أو لكنة البدوي وهو يتحدث باللهجة الكويتية ، نستطيع أن نقرر مباشرة أن هذا الشخص ينتمي إلى شريحة اجتماعية معينة .

الثالث : تضافر عناصر النظام اللغوي ، بمعنى أن عناصر اللغة جميعها تساهم في أداء الفكرة التي يريد المتكلم إيصالها إذ لا يستقل أي عنصر أو مستوى لغوي بأداء الوظيفة عن الآخر، فالوحدة الصوتية ، مثلا ، تستطيع أن تؤدي وظيفة من خلال وحدات صوتية أخرى تشكل الكلمة ذات الدلالة في المعجم ، والكلمة بدورها تؤدي دورها الوظيفي من خلال النظام النحوي ، كاشفة عن معانيها الوظيفية في ظل ذلك النظام ، وهذه المظاهر تتداخل فيما بينها من أجل بناء فهم واضح داخل الاتجاه الوظيفي ، ومن ثم إبراز طابع الوظيفة التي تؤديها فارتباط البنى التركيبية بمتطلبات البيئة الاجتماعية وتضافر العناصر من جانب آخر ، هو الأمر الذي يولد لنا التحليل اللغوي الذي يهدف إلى بيان وظائف اللغة في البيئة اللغوية ولابد لهذا التحليل من إطار نظري يكشف الخيارات المتاحة للمتكلم ، وهذا الإطار هو ما يسمى بـ (الوظيفية)[5]

محددات الاتجاه الوظيفي :

تتخذ العربية من (الوظيفة) وسيلة في إبانتها عن المعاني ، ومقاصد التعبير ، وعلماء اللغة (النحويون والبلاغيون) أولوا هذا الأمر عناية بالغة ، وقد أعانهم على هذا طبيعة اللغة العربية التي تسمح ببسط القول في هذا المطلب ،وإذا ما أراد المرء أن يلملم نثار هذه الملاحظ وأن يجمع متفرقاتها فبإمكانه أن يضع تصوراً عاماً لمحددات المعنى عند علماء العربية ، وبلحاظ ما سبق يمكننا أن ننطلق في تصورنا للمعنى من المنظور الوظيفي الذي يرى أن اللغة ذات مستويات أربع هي [6]:

1- المستوى الصوتي : النظام الصوتي للغة ، يتألف من عدة أنظمة وليس من نظام أحادي متمثل في الوحدات الصوتية (الفونيمات) ولذلك فالتحليل ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار التشكيلات الصوتية التي تبرز في المقطع أثناء الاستعمال ، كحالتي الوقف والوصل، والنبر والتنغيم.

2- المستوى الصرفي : في هذا المستوى نجد مفهوم (التساوق) يعكس فكرة البناء والتساوق في صياغته المبكرة كان يعني الترابط ما بين الكلمات بوصفها (بنية) مفردة فالكلمة تصاحب كلمة أو كلمات: أ أخرى في السياق الطبيعي كقولنا : حللت أهلاً ، ولكن هذا المفهوم قد تطور فأصبح يعني : دخول الكلمة في سياق مقبول مع كلمة أو كلمات أخرى . فمثلاً الفعل (أطلق) يمكن أن يتساوق مع العناصر الآتية :

ـــــ أطلق ساقيه للريح ← ولى هارباً

ـــــ أطلق عليه اسماً غريباً ← سماه باسم غريب

ـــــ أطلق له الحبل على الغارب ← ترك له حرية التصرف

ولكن (أطلق) لا تتساوق مع (محاضرة) في قولنا : أطلق محاضرة أي لقى محاضرة

3- المستوى النحوي : ويتضمن تركيب الجملة (النحو + تركيب الكلمة (صرف)) وفي هذا المستوى يعد مفهوم (الانتظام) معبراً عن البناء ،ويعنى به التجاور الطبيعي للعناصر النحوية والصرفية وهذا النوع من الانتظام يكون مسؤولاً عن جزء من (المعنى النحوي) .

4- المستوى الدلالي : ويتجلى هذا المستوى في فكرة (سياق الحال) وهي ضرورية لفهم المعنى ، ولكن (المعنى) ـــــ وفق نظر المدرسة السياقية ـــــ لا يقتصر على المستوى الدلالي بل تتضافر المستويات جميعها لأدائه فـ ((الأشكال اللغوية لها معنى على المستوى النحوي واللفظي وهذا المعنى تحدده أنماط الأنظمة النحوية التي تقام للغة . إن حالة الرفع في لغة ذات أربع حالات إعرابية سيكون لها بهذا المفهوم معنى مختلف عن حالة الرفع في نظام ثنائي أو نظام له أربع عشرة حالة مثلاً)) [7] . ومن أجل الوصول إلى ((المعنى الدلالي ، لابد أن تحدد مستويات التحليل اللغوي اتحاداً تاماً في نظرة تحليلية متكاملة ، فالمستوى الأول : التحليل الصوتي ، تتحد فيه الفونيمات المكونة للمورفيمات في الجملة ... ليتم في المستوى الثاني تحديد المبنى الصرفي ... ثم يأتي دور المستوى التركيبي وفيه يتم تحديد حاجة الكلمة الأولى إلى ما يليها من كلمات)).[8]

لقد اتجهت الدراسات اللغوية الحديثة إلى توظيف المنهج الصوتي في الدراسة الصرفية[9] وهذا دليل على العلاقة الوطيدة بين الصوت والصرف ، والتي بدورها تكون بمجملها وطيدة الصلة بالتركيب النحوي ؛ فالمورفيم هو أساس علم الصرف[10] ؛ وهو أصغر وحدة ذات معنى قادرة على إيجاد تغير دلالي[11] والصرف يعنى بالأشكال اللفظية ودلالتها ، أما النحو فنظام

من المعاني والعلاقات التي لا تجد تعبيراً شكلياً عنها إلا فيما يقدمه الصرف لها. [12] وانطلاقاً من التصور الذي يرى أن اللغة ((كيان موحد قائم بذاته)) [13] فقد أقام النحاة دراستهم للمعنى على هذه

المستويات الثلاث التي بفعل تضافرها بعضها مع بعض تكون الدلالة التركيبية قد استوفت عناصرها في التكوين لإنتاج المستوى الدلالي.

وسنقف في هذا البحث على تلك المستويات الثلاث(المستوى الصوتي ، والمستوى الصرفي والمستوى النحوي) ، لبيان الدور الوظيفي الذي يؤديه كل مستوى منها.

1- المستوى الصوتي :

تعد الأصوات ((اللبنات التي تشكل اللّغة ، أو المادة الخام التي تبنى منها الكلمات والعبارات، فما اللغة إلا سلسلة من الأصوات المتتابعة)) [14]. وتتجلى الأهمية الوظيفية للأصوات اللغوية في : 1- تغير الفونيمات التركيبية للكلمة ((مما يسمونه بعملية الاستبدال... وهي تقضي بوضع مقطع لغوي مكان مقطع آخر ضمن مرسلة محددة بحيث إن هذه الأخيرة تبقى مقبولة دلالياً ونحوياً... كما في (دار) و (جار) [15] . وقد تبنى ابن جني هذا المفهوم ؛ أعني المفهوم الإستبدالي ، في كتابه الخصائص في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) فقد تضمن هذا الباب عدداً من الكلمات القائمة على التبادل الصوتي بين حروفها ومن ذلك تبادل القاف والخاء في (قضم وخضم) فقال : ألا تراهم قالوا : قضم في اليابس ، وخضم في الرطب ؛ وذلك لقوة القاف وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف)). [16] فالعملية الاستبدالية هنا وإن لم ينتج عنها تنوع في المعنى ، ولكن الإختلاف بين اللفظتين يكمن في الدلالة على قوة الفعل أو ضعفه .

2- تغير الفونيمات فوق التركيبية كالتنغيم ، والوقف الفاصل حيث يقوم التنغيم بوظيفة تحديد الوحدات المعنوية الكبيرة في الخطاب ، وهو بذلك يميز في الجملة الواحدة بين الصيغة الإخبارية والصيغة الاستفهامية أو التعجبية أو الأمرية بما تؤديه درجة الصوت من دور في تمييز المعنى الأساس للكلمة أو الجملة .[17] أما الوقف الفاصل فوظيفته تمييز العناصر النحوية والدلالية ضمن السلسلة الكلامية فهو لا يأتي في نهاية السلسلة الكلامية ، وإنما يظهر في وسط كلمة أو كلمات متتالية ويكون دوره في هذه الحال دوراً تحديدياً فاصلاً .[18]

لقد أدرك النحاة القدامى أهمية النظام الصوتي ؛ إذ كانوا على وعي تام بأن دراسة الأصوات مقدمة لابد منها لدراسة اللغة ، وأشاروا إلى ذلك في شرحهم اللغوي لطائفة من الألفاظ التي تنطبق عليها عملية الاستبدال الفونيمي ، وكان منهم سيبويه الذي ميز الاستبدال الصوتي الحاصل في فاء الكلمة بين المصوتين القصيرين / ـــَــ/ و / ـــِــ/ كما في (مِفْعَل)و (مَفْعَل) قال : ((ويجيء (المِفْعَل) اسماً وذلك في (المِطْبخ) و (المِرْيَد) ولو أريد مكان الطبخ عموماً

لقيل (مَطبَخ) بفتح الميم وكذا لو أريد مكان حبس الإبل لقيل بفتح الميم)) [19] ومن ذلك أيضاً الاستبدال الحاصل بين مصوتي الضم والفتح في (فاء) كلمة (صدق) قال :((وسمعت من العرب من يقول : قومٌ صُدق اللقاء ، والواحد : صَدق اللقاء))[20]

ويمكننا أن نلمس كثيراً من مظاهر الاستبدال الصوتي في القراءات القرآنية ، وهو استبدال وظيفي ؛ أي أنه يؤذن بتنوع المعنى ، ومن ذلك ، الاستبدال الحاصل بين كسر الهمزة وفتحها في كلمة (ايمان) من قوله تعالى : ((وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون)) [21]. إذ قرأت (ايمان) بكسر الهمزة وفتحها [22] . واختلاف المعنى يبدو واضحاً بين القراءتين لاسيما وأن ((في العربية صنفين من التعبيرات ؛ تعبيرات نصية تؤدي معنى واحداً لا تحتمل غيره وتعبيرات احتمالية تحتمل أكثر من معنى)) [23] ، فقراءة كسر الهمزة في (إيمان) من التعبيرات الاحتمالية ، إذ يحتمل أن يكون (الإيمان) بمعنى : الإسلام أي لا إسلام لهم [24] ، أو يكون(الإيمان) مصدر (آمنته – إيمانا) فهم لا أمان لهم فاقتلوهم حيث وجدتموهم [25] ويكون في هذا تكرار لدلالة قوله تعالى : ((فقاتلوا أئمة الكفر)) ، ويبدو أن هذا الاحتمال أكثر مواءمة لسياق النص من الأول . أما قراءة فتح الهمزة (أيمان) فـ (الأيمان) جمع اليمين ، إذ وصفوهم بالنكث في العهد ونكث العهد بالأيمان [26]. يقال : نكثوا أيمانهم ؛ أي لا عهود لهم ، والأيمان التي هي بمعنى(العهد) لا تكون إلا بفتح الهمزة ؛ لأنها جمع يمين كانت على عقد كان بين المتواعدين .

((يبدو أن التزام التعبير النصي أولى ؛ لئلا يذهب بالنص مذاهب شتى سواء من جانب التفسير أم من الجانب اللغوي الذي يتأثر بذلك التفسير ، إذ لا نبالغ إذا قلنا : إن كلاً من التفسير والناحية اللغوية تؤثر في الآخر وتتأثر به)) [27] . وقد ذكر أبو عبيدة ، هذا النوع من الإبدال في فاء (فُعْل) في عدد من الآيات القرآنية التي قرئت فيها الكلمة الواحد بقراءتين اتسمتا بالإبدال الصوتي بين الفتحة والضمة في فائها[28]. وبين الكسرة والضمة أيضا في فائها[29] .

أما التنغيم ؛ فهو ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام ؛ إذ تتنوع درجات الصوت تبعاً للحالة الانفعالية للمتكلم ووفق ما يقتضيه السياق [30] . وللصيغة التنغيمية منحًى وظيفي خاص بالجملة ؛ إذ تقوم بتحديد الوحدات المعنوية الكبيرة في الخطاب ، وذلك من خلال التمييز في الجملة الواحدة بين الصيغة الإخبارية والصيغة التعجبية والاستفهامية والإنكارية ، إلى غير ذلك من الصيغ ، بما تؤديه درجة الصوت من دور في تمييز المعنى الأساسي للكلمة أو الجملة [31] . وبهذا يتضح الجانب الوظيفي للتنغيم وأول ما يطالعنا في هذا الميدان صنيع أبي الأسود الدؤلي حينما سمع ابنته تقول : ما أحسنُ السماءِ ! متعجبة وقد أخطأت بالشكل الإعرابي برفع (أحسنُ

) فصارت الجملة استفهاماً ، فقال لها : نجومها فقالت : إنما أردت التعجب فقال : قولي ما أحسنَ السماءَ .[32]

ويعد التنغيم الفيصل في تحديد المعاني المختلفة للجملة الواحدة[33] .وهو ظاهرة موجودة في اللغة وقد أدركه علماء اللغة الأوائل بأساليب متعددة وبصور مختلفة كل حسب منهجه ونمط دراسته ، فسيبويه ـــ مثلاً ـــ يدرك أن للتنغيم أثراً في تنوع الأساليب النحوية ، فبالإمكان أن تدل الجملة الواحدة على أكثر من معنى وهذا ما نجده في قوله : ((ما أنتَ وعبدُ الله ، وكيف أنت وعبدُ الله ؟ كأنك قلت (ما أنتَ وعبدُ الله) وأنت تريد أن تحقر أمره أو ترفع أمره ، وكذلك كيف أنتَ وعبدُ الله ؟ ، وأنت تريد أن تسأل عن شأنهما))[34] وقد تنبه المبرد وظيفة المتكلم في تحديد معنى الجملة من خلال توظيفه للتنغيم على صورة تجعله يخرج عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى، كالتوبيخ مثلاً إذ يقول : ((أقياماً وقد قعد الناس ، لم تقل هذا سائلاً وإنما قلته موبخاً منكراً لما هو عليه))[35] .

ولابن جني وقفة مع هذا الأمر إذ يقول : ((الاستفهام إذا ضامته معنى التعجب استحال خبراً ، وذلك قولك : مررتُ برجل أي رجلٍ . فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل ، لأن (ما) زائدة وإنما كان كذلك لأنَّ أصل الاستفهام الخبر ، والتعجب ضرب من الخبر... ومن ذلك لفظ الواجب إذا لحقته همزة التقرير عاد نفياً ، وإذا لحقت لفظ النفي عاد إيجابا ، وذلك كقول الله سبحانه : ((أأنت قلت للناس)) أي : ما قلت لهم))[36] . فالتنغيم قد عمد إلى قلب المعنى مخرجاً الاستفهام إلى معانٍ أخرى كالتوبيخ ، والتقرير ، رغم توافر قرينة الاستفهام وهي(الهمزة). وشبيه هذا قوله تبارك وتعالى : ((ما أغنى عنه ماله وما كسب))[37] ففي (ما) وجهان إعرابيان متباينان هما[38]:

الأول : استفهام في معنى الإنكار

الثاني : إنها نافية .

((وليس يخفى أن استرفاد التنغيم ؛ تنغيم الاستفهام أو تنغيم النفي يؤذنُ بتعيين المعنى ولكن هذين المعنيين في هذا السياق مع افتراقهما يتضافران للدلالة على نفي المعنى الكلي ، إما بالاستفهام ، أو النفي ، وكلاهما مفضٍ إلى المعنى المتعين))[39] ويظهر أيضاً دور التنغيم في اللغة الانفعالية ، فالجملة الواحدة تحتمل عند النطق مئات ومئات من وجوه الاختلاف التي تقابل أشد ألوان العاطفة خفاءً ، هذه العواطف يمكن بطبيعة الحال التعبير عنها بواسطة التنغيم أو تغير الصوت[40]، من ذلك قوله تعالى في حكاية امرأة إبراهيم(ع) : ((قالت : يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً ، إن هذا لشئٌ عجاب))[41]. فالآية تحمل مع الاستفهام عدداً من الدلالات ، فهي

تعجب ، وإنكار واستبعاد لما هي عليه من الحال [42] . إذ يعد الاستفهام أعلى مستويات التنغيم في اللغة العربية[43] . وقد أشار السيوطي إلى ذلك في كتابه الإتقان[44] .

ولم يكن التنغيم وقفاً على الاستفهام ، واللغة الانفعالية ، فالنداء والحذف ، والتضمين ، من الأساليب التي تخضع للتنغيم الصوتي [45] .((فقد يستغني المتكلم عن معنى الأدوات اعتماداً على تغيير نغمة الصوت واستعانة بسحنة الوجه ، نحو حذف حرف الاستفهام في قولنا : خالد جاء ؟ والمعنى أخالدٌ جاء ؟ بتنغيم صاعد على الفعل)) [46] . ومما حذف فيه النداء مستعاضاً عنه بالتنغيم الخاص بهذا المعنى قوله تعالى: ((يوسف اعرض عن هذا))[47] . وقول عمر بن أبي ربيعة[48]:

خَـليليَّ فيمَا عِشتُما هَل رأيتُما قتيلاً بكى مِن حُبِ قاتِلِه قبلي

فالنداء محذوف ومعنى التركيب يوحي بذلك ، إذ يمكن لفظهما بنغمة النداء ؛ أي (يا يوسف) و (يا خليلي)[49]

و((التنغيم عظيم الأثر في القرينة اللفظية (الأداة) بحيث يجردها والجملة المركبة معها من المعنى الذي تحمل عليه إلى معنى آخر مغاير لها))[50] كما في قوله تعالى : ((ربّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين))[51]. إذ يذهب النحاة إلى أن (لولا) الشرطية قد تخرج من الشرطية إلى الدلالة على التحضيض ، ولكن ما الذي مكن لهم ذلك ؟ لا شك أنهم أدركوا دلالة التحضيض من خلال ((الجمل المكتوبة ، بل من خلال القرينة الحالية ثم القرينة التنغيمية الدالة عليها فغيرتها من معنى الشرطية إلى معنى التخفيض الذي هو الحث مع الانزعاج))[52]

والذي يبدو أن (لولا) في هذه الآية قد خرجت لغرض الدعاء ، فالإنسان عندما يشارف على نهاية العمر، ولا سيما في لحظات الموت يكرس ما تبقى من جهده للطاعة والدعاء وهذا ما أشار إليه سياق الآية : ((وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت ، فيقول : رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين)) [53].

إن الاعتماد على الصيغ التي تقع فيها الجملة والموازين التنغيمية في هذه النصوص هو الذي سوغ حذف النداء ومغادرة الاستفهام دلالته الأصلية ليدل على معانٍ أخرى ولولا التنغيم لما أدرك المتلقي معاني تلك العبارات ، ولما ميز بين الصيغ الإخبارية والاستفهامية والتعجبية والأمرية[54].

أما المفصل الصوتي الذي هو نوع من أنواع الوقف لا يأتي في نهاية السلسلة الكلامية

((وإنما يظهر في وسط الكلمة أو عدة كلمات متتالية ، ويكون دوره في هذه الحالة دوراً تحديدياً فاصلاً ، بمعنى أنه يتخذ وظيفة تميز عناصر نحوية ودلالية ضمن السلسلة الكلامية))[55] .

ولهذا النوع من الوقف فوائد كثيرة من أهمها تبيين المعنى[56] . ويمكن أن نلحظ الدور الوظيفي للمفصل في قوله تعالى : ((قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله))[57] فالمفصل يظهر في تمام الكلام على (سواء) ثم استؤنف بقوله : (بيننا وبينكم) فـ (سواء) ههنا صفة لـ (كلمة)[58]

((وقد تم الكلام ليأتي فضُلُ المفصل الصوتي في انفتاح الدلالة ؛ ليعقب هذا مردهُ... أن النظم التركيبي الواحد قد يكون حمالاً لأوجه متعددة ، إن ذلك مرده إلى المفصل ويغدو المعنى المتعين في الوجه الثاني وهو : (بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله) ... والذي ينمي تخلق الشعور بالإعجاز في النفس هو أن ثم وجهين متباينين في قراءة هذه الآية الشريفة . ومن كل وجه تقدير ينبني عليه حكم ، لكنهما يتفقان ودلالة السياق الكلية ، وهي : بيننا وبينهم ألا نعبد إلا الله))[59]

2. المستوى الصرفي :
وهو أحد مستويات التحليل اللغوي ، يتناول البنية التي تمثلها الصيغ ، والمقاطع والعناصر الصوتية التي تؤدي معاني صرفية ونحوية [60] .

وتبدأ دراسة الصرف ((من الأصوات إلى البنية فالتركيب النحوي ، ثم إلى الدلالة التي تمثل قمة هذه العناصر وثمرتها ؛ لأنها محصلة لمعانيها كافة)) [61]. ويكمن الجانب الوظيفي في المستوى الصرفي في الصيغ وبنيتها ؛ فالدلالة الصرفية ((تستمد من الهيكل أو البناء الداخلي للمفردات... وإنَّ أي تغيير في الصيغة يؤدي إلى تغير في الدلالة ، أو المعنى الجديد الذي اكتسبه اللفظ من خلال زيادة أو حذف يطرأ على الصيغة الأصلية)) [62].والصيغة :هي القوالب الفكرية التي تصب فيها المعاني العامة فهي التي تحددها وتعطيها حجمها ومعناها الخاص . فضلاً عن مساهمتها الفعالة في إثراء اللغة[63] .وللعربية أسلوبان في صياغة أبنية جديدة[64] :

الأول : التحول الداخلي في بنية الكلمة : فالأصل (الفاء والعين واللام) التي تؤلف الجذر الأساس للكلمة ثابتة ، أما الحركات التي تتناوب على هذه الصوامت الثلاث هي المتغيرة ، نحو:عَلِمَ ، عُلِمَ ، عِلْمٌ .

والثاني : الزيادة أو الإلصاق:

وهو زيادة صوامت في بنية الكلمة ، وهي أما سوابق أو لواحق أو حشو كلمة ؛ لضروب من المعاني نحو : ضَرَبَ ،ضَربَ ، تَضَارَبَ، واضطرَبَ ولكي يكون المبنى صيغة لابدَّ من أن ينتمي إلى أصول اشتقاقية وان يتصرف إلى صيغ غير صيغتها [65].((ولهذا التصنيف قيمة كبيرة في البناء اللغوي ، إذ تقوم عليه المعاني الوظيفية الصرفية كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة ...))[66] ولذلك حدّ ابن جني للصيغة دلالة وظيفية سمَّاها بـ :((الدلالة الصناعية)) وهي ((أقوى من الدلالة المعنوية ، من قِبل إنها وان لم تكن لفظاً فإنها صورة يحملها اللفظ ويخرج ويستقر على المثال المعتزم بها... وأما المعنى فإنما دلالته لاحقة بعلوم الاستدلال)).[67]

ولعلمائنا الأوائل التفاتات في مباحثهم الصرفية تشير إلى إدراكهم لقيمة الدلالات الوظيفية للصيغ الصرفية ، فتحدثوا عن ذلك وأسهبوا فيه ؛ لما له من أهمية في تحديد جزء من المعنى[68] .

فـ(الـ) التعريف لاصقة مقيدة لا تعطي معنى إلا باتصالها بغيرها ، وقد لحظ هذا سيبويه وغيره من النحاة الذين جعلوا لـ (الـ) التعريف وظائف أخرى فضلاً عن دلالتها على التعريف فهي تدل على معنى (الذي) عند اتصالها بـ(اسم الفاعل) و (المصدر) قال : ((وذلك قولك : هذا الضاربُ زيداً ، فصار في معنى : هذا الذي ضرب زيداً . وعمل عمله ؛ لأنَّ(الألف واللام) منعتا الإضافة فصار بمنزلة التنوين وكذلك : هذا الضاربُ الرجلَ ، وهو وجه الكلام)) [69] ، وفي قوله تعالى : ((والعاديات ضبحاً ، فالموريات قدحاً. فالمغيرات صبحاً فأثرن به نقعاً ، فوسطن به جمعاً))[70] فسَّر السيوطي (ال) بالاسم الموصول قال : ((وعطف الفعل على الاسم ؛ لأنه في تأويل الفعل ؛ أي واللاتي عدون فأورين فأغرنَ))[71].

ذلك أن في دخول (ال) التعريف على (الوصف) واسم المعنى (المصدر) له دلالة تختلف عن دلالة دخولها على الاسم ؛ لأنها مع الاسم تكون تعريفاً أما مع الوصف فتكون دليلاً على قوة الفعلية فيه بدليل أنه معها يعمل في كل حال[72].

وتعد الزيادة في البناء الصرفي عاملاً في تغيير معناه فتتغير لذلك دلالة التركيب ، وفي هذا يقول ابن جني : ((واتبعوا اللام في باب المبالغة وذلك إذا كررت العين معها نحو دمكمك... وعصبصب ... والموضع في ذلك العين ، وإنما ضامتها اللام هنا تبعاً لها ولاحقة بها ، ألا ترى ما جاء عنهم للمبالغة في نحو : اخلولق ، اعشوشب... كما ضاعفوا العين للمبالغة ، نحو : عتّل وحمَّل... فليس الغرض فيه التوكيد والتكرير ... ألا ترى أنهم لما اعتزموا إفادة المعنى توفروا عليه وتحاموا طريق الصنعة والإلحاق فيه فقالوا : قطّع وكسَّر...))[73]

وكذلك زيادة السابقة (السين والتاء) التي تلحق أصول الفعل (ف ع ل) لتدل على معانٍ عديدة يذكرها ابن جني بقوله : ((ويقع استفعل في الكلام لمعانٍ منها : الطلب ، نحو : اسْتَعْتَبْتُه ؛ أي طلبت إليه العتبى ... ويكون استَفْعَلتُ للشيء تصيبه على هيأة ما نحو : اسْتَعْظمتُه ؛ أي : أصبتهُ عظيماً ... وقد تأتي للتنقل من حال إلى حال نحو : استنوق الجمل ...))[74]

فاللفظ إذا كان على وزن ما ثم نُقل إلى وزن آخر بفعل ما ألحق به من السوابق أو اللواحق أو الأحشاء ، فلابد أن يتضمن المعنى أكثر مما تضمنه أولاً ؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني ، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعنى التي منها المبالغة[75] .

وجهد القدامى في هذا المستوى ؛ أي المستوى (الصرفي) تجلى بدراستهم الصيغة بصورتها الافرادية فدللوا على معانيها من حيث كونها مباني تحمل معنين ، معنى معجمي ، ومعنى صرفي ، ولا ضيرَ في هذا فعملهم منصب في الميدان التنظيري لا التحليلي كما تلمسه عند البلاغيين والمفسرين ولا يتحقق المعنى الصرفي بصورته الوظيفية إلا من خلال التركيب الذي يحتويه السياق ، فالقرائن التي يحفل بها السياق تعين على توضيح التنوعات الدلالية للصيغة ولعل تعدد المعنى ، واحتماله من جهة ، أو تحديده ، هو الفارق الأساس بين الصيغة في خارج السياق ، وفي داخله .[76]

وللمعنى الوظيفي في المستوى الصرفي ؛ أي في أبنية الكلم بواعث منها : تناوب الصيغ ولهذه الظاهرة حضورها في العربية [77] . من ذلك نيابة (فاعل) عن (مفعول) ونيابة(مفعول) عن(فاعل)[78] . ونيابة (فعيل) عن (مفعول) [79] وغيرها من الصيغ [80]. ((وتشيع هذه المسألة في التنزيل في مواضع كثيرة يكاد معظمها يدور في ذلك المعنى))[81] .

ومما نابت فيه صيغة (فاعل) عن (مَفْعُول) قوله تعالى : ((لا عاصم اليوم من أمر الله))[82] لصيغة (عاصِم) معنيان[83] :

الأول : إن (عاصِم) (فاعِل) والمعنى : لا أحد يعصمك اليوم من أمر الله .

الثاني : (عاصِم) بمعنى (مفعول) ؛ أي : معصوم ، والمعنى : لا أحد معصوم من أمر الله.

وكذلك قوله تعالى : ((خُلِقَ من ماءٍ دافق))[84] ؛ أي مدفوق[85] .

ومن نيابة (فعيل) عن (مفعول) قوله تعالى : ((أم يقولون نحن جميع منتصر))[86] .

وصيغة (فعيل – جميع) هي بمعنى (مفعول – مجموع) يقول الرازي أن في لفظ (جميع) فائدتين هما : ((أحدهما : الكثرة ، والأخرى الاتفاق . كأنه قال : نحن كثير متفقون فلنا الانتصار ، ولا يقوم غير هذه اللفظة مقامها من الألفاظ المفردة ، إنما قلنا فيه فائدتان ؛ لأن الجمع يدل على الجماعة بحروفه الأصلية من (ج م ع) وبوزنه وهو فعيل بمعنى مفعول على أنهم جمعوا جمعيتهم العصبية))[87]

وصيغة (فعيل) التي تكون بمعنى (مفعول) [88] وبمعنى (فاعِل) [89] وبمعنى (مُفْعِل) [90] وبمعنى (مُفْعَل) [91] ((أكثر شيوعاً في التنزيل ... ومما جاء منها معنى مفعول أكثر)) [92] ولعلَّ تفسير هذا عائد إلى أنَّ صيغة (فعيل) لها ظلال وإيحاءات متعددة ، فهي تأتي للمبالغة وتأتي صفة مشبهة وتأتي مصدراً ... وغير ذلك ، وظلال تلك الصيغة المتعددة المعنى يتسلل إلى المعنى الأصلي ، وهو دلالتها على(المفعول) و (الفاعل) و ... ، بتسلل معنى المبالغة كما يتسلل معنى الصفة المشبهة الدالة على الثبات واللزوم [93] .

ومن البواعث الأخرى لبيان المعنى الوظيفي للصيغة ، العدول أو الالتفات والعدول أساس آخر يكشف عن الدور الوظيفي لصيغة الكلمة في السياق ، ولذلك كانت تسمية (العدول السياقيّ) في الدراسات الحديثة أقرب إلى ظاهرة (الالتفات) في البلاغة العربية[94] .

والعدول : هو تحول أسلوبي ، لا يتحقق ((إلا عندما يتولى في سياق أو نسق كلامي واحد عنصران متماثلان وظيفياً أو معنوياً ، وينحرف الثاني منهما عن الأول في نمط الأداء))[95].

ومن صور العدول في القرآن الكريم ما نلحظه في قوله تعالى: ((قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أُشهدُ الله واشهدوا أني برئ مما تشركون))[96].

فقد قال : ((أُشهِدُ الله وأشْهَدُوا)) ولم يقل : أشْهدكم ؛ ((لأنّ إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد... وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم...فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجيئ به على لفظ الأمر بالشهادة ،كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه أشهد على أني لا أحبك تهكماً به واستهانه بحاله))[97] .

فالعدول هنا عدول سياقي ، وقد وظف توظيفاً صحيحاً ؛ لأنَّ السياق يقتضي (وأشهدكم) ولكنَّ مضمون النص ؛ أي : المعنى السياقي قد فرض هذا النوع من العدول[98] .

ومن العدول السياقي أيضاً ، ما نلمحه في توظيف صيغة المفرد مكان صيغة الجمع كما في قوله تعالى : ((يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم يخرجكم طفلاً))[99] والميم في (يخرجكم) لا تتناسب مع صيغة الإفراد (طفلاً) ، وقد جَعَلَ أبو عبيدة هذا العدول من المجاز الذي جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ، فوقع هذا الواحد على الجميع ، والمعنى يخرجكم طفلاً [100] . ((فالموائمة بين معنى (الصغر) المدلول عليه باللفظة في هذا السياق الراصد لمرحلة حياة الإنسان ومعنى (القلة) المستوحى من صيغة الإفراد تلك الموائمة.... هي سر العدول عن الجمع إلى الإفراد في الآية الكريمة))[101] .

وقد تشتمل الصيغة الصرفية الواحدة على معانٍ صرفية متعددة ، والسياق هو الذي يحدد المعنى الوظيفي لتلك الصيغة [102].فـ ((السياق ما هو إلا المكان الطبيعي لبيان المعاني الوظيفية للكلمات))[103] ومن أمثلة ما تعدد فيه معنى الصيغة قوله تعالى :((فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحنُ ولا أنت مكاناً سوى))[104] فصيغة (مَفْعِل) يشترك فيها اسما الزمان والمكان والقران يُصدِّق بعضه بعضاً ، فقد وردت هذه الصيغة في غير هذا السياق دالة على الزمان في قوله تعالى : ((إن موعدهم الصبح)) [105] ، ودالة على المكان في قوله تعالى:((إن جهنم لموعدهم أجمعين))[106] ، وقد احتملت كلمة (مَوْعِد) هذه الوجوه الثلاثة [107]

و للعارض التصريفي[108] ظلال من المعاني المختلفة ، لا تتحقق إلا من خلال التركيب لتفضي عن الدور الوظيفي الذي تؤديه تلك العوارض ضمن السياق الذي يحتويها ، كما في عارض الإدغام في كلمة (يضارَّ) في قوله تعالى : ((...واشهدوا إذا تبايعتم ولا يضَّارَّ كاتب ولا شهيد ..))[109] فقد يكون المقصود بها (يضارِر) [110] بفك الادغام وكسر الراء الأولى والبناء للفاعل فيكون المعنى : لا يجوز وقوع المضارة من الكاتب لأن يمتنع من الإجابة أو يحرف بالزيادة والنقصان ، وكذا الشهيد لا يكتم شيئاً مما شهد به .

وقد يكون المقصود (يضارَر) بفك الادغام وفتح الراء الأولى والبناء للمفعول ، وفي هذه الحال نهي كذلك ، لكنه نهي عن أن يضارهما أحد بأن يعنتا ويشق عليهما بترك أشغالهما ويطلب منهما ما لا يليق بالكتابة والشهادة .[111]

والذي يبدو أنّ المعنيين مرادان في الصيغة ؛ إذ على الكاتب والشهيد ألا يضارا غيرهما وعلى غيرهم ألا يؤذيهما ويوقع عليها الضرر .[112]

1 - المستوى التركيبي :

بقي النحو العربي حبيس المنهج الشكلي مدة من الزمان ، ولا سيما في بداياته الأولى التي كان جلَّ همه فيها صون العربية من اللحن ، ولكن هذا لا يعني أنَّ (المنهج الوظيفي) أي دراسة المعنى ، لم يكن له مكاناً في كتبهم ، وان كان شيئاً قليلاً ؛ فطبيعة المنهج في عصرهم قد فرضت عليهم هذا التوجيه الذي يقوم على تلك الملاحظ الجزئية في النظر إلى الواقع .

والدراسات اللغوية الحديثة [113] ، تكشف لنا عن هذه الأصول التي جاء بها علماؤنا الأوائل بخلاف يسير في ماهية المصطلح ، أو في أسلوب معالجة اللغة .

وإذا ما أمعنا النظر في مفهوم النحو ـ كما فهمه القدامى ـ للحظنا أنه نحو (شكلي وظيفي) يتمحور بمستويين

الأول : رصد الصواب والخطأ ؛ أي الاهتمام بدراسة العلاقات مجردة .

الثاني : ويهتم فضلاً عن الغاية الأولى ، بدراسة نواحي الجمال والإبداع ، أي الكشف عن العلاقات المتنوعة بين الكلمات ثم بين الجمل في التركيب .

فالنحو: معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً [114] . ويذكر السيوطي أن النحو : ((صناعة علمية ينظفر لها أصحابها في ألفاظ العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لِتُعرف البنية بين صيغة النظم وصورة المعنى فيتوصل بأحدهما إلى الأخرى)) [115] . ويشير هذا التعريف إلى تصور (النحو) و (الوظيفية) التي يؤديها عبر التراكيب وفي ربطه بين (التركيب) و (المعنى) دليل على أنَّ ثمة صلة وثيقة بينهما ، وكلاهما متوقف على الآخر ، وهنا ينفتح دور (الوظيفة النحوية) لمكونات التركيب .

إنَّ المزاوجة بين (النحو) و (المعنى) ليست بدعاً من الدراسات الحديثة ، إنما هو عودة إلى ما قرره علماء النحو الأوائل من أهمية المعنى للنحو وارتباطهما على نحو لا يمكن فصلهما ، وفي هذا الصدد يقول المبرد: ((فكل ما صلح به المعنى فهو جيد ، وكل ما فسد به المعنى فمردود))[116].

ونلمس إيضاح العلاقة بين (النحو والمعنى) من قول ابن جني:((إنك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين ، هذا يدعوك إلى أمر وهذا يمنعك منه فمتى اعتور كلاماً ما أمسكت بعروة المعنى وارتحت لتصحيح الإعراب))[117] .

ولا جدال إذن في أهمية دراسة النحو على أساس المعنى الذي بدأ أثره ملموساً في الدراسات النحوية التي ظهرت منذ بدء التأليف النحوي ، ويظهر هذا الأثر واضحاً في صياغة النحاة لأصول النحو وفروعه ، ودراستهم لدلالة المفردات والتراكيب ، وفهمهم لأساليب الكلام ، وطرائق التعبير ، وجدلهم في اختلاف أوجه الإعراب[118] .

لقد نظر النحاة إلى الوظيفية النحوية ملحظين:

أولاً : الملحظ المقالي ؛ ويتمثل بوظائف تركيبية تتولد عنها وظائف دلالية ؛ بحكم اقترانها بقيم معنوية اقتراناً متصلاً يكون كياناً قائماً بذاته [119] فـ ((المعاني التي وردت في حدِّ الإعراب ، [هي] الوظائف النحوية...كالمبتدأ أو الفاعل أو الحال ... وقد قـــــام منهج النحاة في وصفها على أفراد باب لكل وظيفة ، فصلوا في قيودها الصّرفيـــــــــــة والنحوية ، وأبعادها المعنوية : التركيبية والدلالية والتداولية ، ويمكن أن نتبين ذلك من ملاحظة حدودهم التي وضعوها لهذه الوظائف :

البعد التركيبي	البعد الدلالي	البعد التداولي
1 - المبتدأ يبنى عليه الكلام	شرط المبتدأ أن يكون معرفة	(معرفة المخاطب)
2 - الخبر المبنى على المبتدأ	يصير به المبتدأ كلاماً	محط فائدة للسامع
3 - الحال	يبين هيأة صاحبه	ـــــــــــــــ
4 - التمييز	رفع الإبهام في جملة أو مفرد المراد بالنص على أحد محتملاته (تمييز النسبة)	(تمييز المفرد والنسبة)

وواضح ... أن الوظائف النحوية تتمايز وفقاً للبعد الذي تعبر عنه في إطار بناء الجملة التي تقوم عندهم على أركان ثلاثة : المسند إليه ، والمسند ، والفضلة ... وهذه الأركان تمثلها وظائف نحوية))[120]. ((فالمبني على المبتدأ هو الوظيفة التركيبية في الجملة الاسمية ، أما الخبر فهو الوظيفة الدلالية ...))[121]

ومما يدلّ على اهتمام النحاة بالتركيب ما نجده عند سيبويه في بيانه لنوعين من مستويات الكلام ؛ المستوى الذهني ، والمستوى المنطوق، أو المستوى السطحي والمستوى العميق [122] يقول : ((تقول : أعبدُ الله ضَربَ أخوه غلامَه إذا جعلت الغلامَ في موضع زيد حين قلت أعبدُ الله ضربَ أخوه زيداً فيصيرُ هذا تفسيراً لشئ رَفَعَ عبدَ الله ؛ لأنه يكون مُوقعِاً الفعل بما يكون من سببه كما يوقِعُه بما ليس من سببه كأنه قال في التمثيل وان كان لا يتكلم به))[123]

ومما يوضح أن البنية التركيبية عند النحاة ، مرتبطة بالبنية الدلالية ، قول سيبويه :((سألتُ الخليل عن قوله عز وجل : ((وما كان لبشرٍ أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء)) فزعم أن النصب محمول على أن سوى هذه هي التي قبلها ... ولكنه لما قال : ((إلا وحياً أو من وراء حجاب كان في معنى (إلا أن يوحي) ... (أو يرسل)))[124]. فالقول بإضمار (إن) قبل الفعل مسألة تركيبية في البنية العميقة ولكنها مسألة دلالية في البنية السطحية[125] .

ويبدو الأمر أكثر وضوحاً في ما ذهب إليه ابن هشام بقوله : ((الحذف الذي يلزم النحويّ النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة ، وذلك بأن يجد خبراً بدون مبتدأ وبالعكس ، أو شرطاً بدون جزاء أو بالعكس أو ...وأما قولهم في نحو...((وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبَّدت بني إسرائيل)) إن التقدير : ولم تعبِّدني ففضول في النحو ، وإنما ذلك للمفسر ، وكذا قولهم : يحذف الفاعل لعظمته وحقارة المفعول ، أو للجهل به أو .... فانه تطفل منهم على صناعة البيان))[126]

وعبارة ابن هشام تؤكد أن المهمة الأساس لعمل النحوي هو الاهتمام بالوظيفة التركيبية تاركاً الاهتمام بمقاصد التراكيب لأصحاب البلاغة ، وهذا القول يصدق طبيعة الدرس النحوي حتى لا يحاكم النحاة بغير هذا المنحى ، وكي لا تشكل عناية النحوي بالتركيب ولا تلتبس بعناية البلاغي [127] . فالمتأمل في مصنفاتهم سيلحظ أنهم أفردوا لكل وظيفة نحوية باباً قائماً على تعريف يحدد للوظيفة شروطها الصرفية والإعرابية والموقعية فضلاً عن أبعادها الدلالية ، ثم يمتد الوصف ليشمل ما يطرأ على الوظيفة من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر ضمن العلاقات التركيبية المختلفة التي تربطها بغيرها من الوظائف النحوية الأخرى التي تحكمها جميعها نظرية الفاعل [128].

وعلى الرغم من هذا ، فقد استكمل ((النحاة دراستهم في الجملة بمجاوزة العلاقات الداخلية والامتداد إلى ما وراءها ... فدرسوا البعد مستشعرين في تحليلاتهم على نحو يمثل استخراجه إحياء لأصل من أصولهم صدوراً عنهم وان لم يصرحوا به تصريح اللسانيات الاجتماعية والحقول الملابسة لها في هذه الأزمنة)).[129]

ولاشك فيه أنَّ هذا المنحى سيقودُنا إلى الجانب الآخر من الوظيفة النحوية ، وهو:

ثانياً : الملحظ السياقي (المقام) :

لقد استعمل النحاة واللغويون القدامى كلمة (السياق) بمفهومهما اللغوي العام ، إذ لم تكن تحمل لديهم المفهوم الاصطلاحي الذي أصبح شائعاً عند المحدثين الذين أقاموا نظريتهم على فكرة السياق كما نجدها عند أصحاب المدرسة اللغوية الاجتماعية أو ما تسمى بالمدرسة الفيرثية نسبة إلى مؤسسها فيرث ، والتي عرفت (بالمنهج السياقي) الذي أكد الوظيفة الاجتماعية للغة.[130]

والحق أن هذا التأكيد على كون اللغة ذات طابع اجتماعي ، قد تنبه له علماؤنا الأوائل فاللغة ـ عندهم ـ كائن حيٌّ كالإنسان ، وهي الصق الظواهر الاجتماعية به [131] . واللغويون في معالجتهم للجانب الاجتماعي في اللغة ((لم يقتصروا على النظر في بنية النص اللغوي ، كما لو كان شكلاً منعزلاً عن العوامل الخارجية التي تلفه وتحيط به ، وإنما أخذوا مادتهم اللغوية ـ على ما يبدو من معالجتهم لها ـ على أنها ضرب من النشاط الإنساني الذي يتفاعل مع محيطه وظروفه ، كما فطنوا إلى أن الكلام له وظيفة ومعنى في عملية التواصل الاجتماعي ، وان هذه الوظيفة وذاك المعنى لهما ارتباط وثيق بسياق الحال أو المقام ، وما فيه من شخوص وأحداث ، وقد ظهر هذا كله في دراستهم ، وان لم ينصوا عليه كمبدأ من مبادئ التعقيد أو أصلاً من أصول نظريتهم اللغوية))[132]

وسياق الحال أو المقام ، هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي ؛ أي الملامح ذات الصلة المباشرة بالحدث الكلامي ، ومن هذه العناصر المكونة للحدث الكلامي [133] :

1. شخصية المتكلم ، والسامع، وتكوينها الثقافي ، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع ، وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي .
2. العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك بالموقف الكلامي كـ (مكان الكلام ، الوضع السياسي ....) .
3. أثر النص الكلامي في المشتركين كالاقتناع أو الإيلام أو الإغراء .

وقد تناول سيبويه مسألة التلازم التركيبي بين العناصر اللغوية ، محتكماً في ذلك إلى مدلولات هذه الأنماط عند أبناء اللغة ، فيلاحظ إن هذه الأنماط في مقتضياتها الخارجية مركبة والتعبير عنها يتطلب مركباً من العناصر اللغوية [134] . قال : ((واعلم أن هذه الأشياء لا ينفرد منها شئ دون ما بعده ،وذلك أنّه لا يجوز أن تقول كلمته فاه حتى تقول : إلى فيَّ؛لأنَّك إنما تريد مشافهة ، والمشافهة لا تكون إلا من اثنين فإنما يصح المعنى إذا قلت : إلى فيَّ ولا يجوز أن تقول بايعتُه يداً ؛ لأنك إنما تريد أن تقول : أخذ مني وأعطاني فإنما يصح المعنى إذا قلت بيدٍ ؛ لأنهما عملان))[135]

وسياق الحال متمثل لدى اللغويين القدماء في عبارات من مثل (علم المخاطب) و (غرض المتكلم) و (موضوع الكلام) ، كما نلحظه في معالجتهم لكثير من التراكيب اللغوية.

فقد سأل سيبويه الخليل عن قوله تعالى : ((حتى إذا جاءوها وفُتحت أبوابُها)) [136] أين جوابها ، وكذلك قوله تعالى : ((ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب))[137] . فقال الخليل:((إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب لعلم المخبر لأي شئ وضع هذا الكلام))[138].

وفي قول الفرزدق[139] :

إني ضَمنتُ لمـــن أتـــَـــاني مَـــــــا وأبى فكـــــــانَ وكنتُ غيرَ غـــــــَدُور

قال سيبويه:((ترك أن يكون الأول خبر حين استغنى بالآخر لعلم المخاطب أنَّ الأول قد دخل في ذلك))[140] .ويوظف ابن جني القول والمقام في تفسير المعنى تفسيراً منسجماً مع ما يريد في القول من إشارات خفيه أو ظاهرة لها ارتباط وثيق بالسياق [141] .

من ذلك تعليقه على قول الشاعر [142]:

تقول : وصكَّت وجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

قال : ((فلو قال حاكياً عنها : أبعلي هذا بالرحى المتقاعس ، من غير أن يذكر صك الوجه لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة لكنه لما حكى الحال ، فقال : وصكت وجهها . علم بذلك قوة إنكارها وتعاظم الصورة لها . هذا مع انك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ... ولقد قيل ليس المخبر كالمعاين))[143] .

هكذا تنبه القدماء إلى أثر المتغيرات الخارجية في ترتيب عناصر الجملة وكأنهم يرسمون بذلك لأبناء اللغة أن يساوقوا بين هذه المتغيرات والوجوه الجائزة المناسبة عند استعمال اللغة [144] .

وتتضح أهمية السياق على مستوى التراكيب في الوصول إلى (المعنى النحوي الدلالي) كما يسميه الدكتور محمد حماسة إذ يقول : ((إن الكلمة تتفاعل مع وظيفتها تفاعلاً خاصاً يكسبها معنى خاصاً ، وقدرة الوظيفة النحوية على التفاعل مع كل كلمة قدرة هائلة لأن هناك عنصراً مهماً يتفاعل معها هو عنصر الموقف والسياق))[145] .

لاشك في أنَّ الوظيفة النحوية إنمّا تكتمل بشقها الآخر المتمثل بوظيفة المعنى ، فعلمي(النحو والمعاني) علمان متآخذان والعلاقة بينهما تكاملية ، ولعل نظرية النظم عند الجرجاني أوضح شاهد على هذا التكامل ، فهي قائمة على نوعين من العلاقات ؛ التركيبية والدلالية .

فالعلاقات التركيبية ، هي التي يعلق فيها الكلم بعضه ببعض ، ويبنى بعضه على بعض وفق ما يقتضيه علم النحو [146] . أما العلاقات الدلالية فهي التي تنشأ في التراكيب ، وتترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس[147].

والتعليق عند الجرجاني يعني ((إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بوساطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية)) [148] ، ويعد؛ أي التعليق،أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية على صورة أوفى وأفضل في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية[149] .

وقد ألحَّ علماؤنا القدامى على جانب المعنى والدلالة ، وعدّوا النحو نشاطاً متعلقاً بالدلالة [150] وهذا الإلحاح يُمنح قوته من التقسيم الذي طرحه سيبويه لبيان سلامة القول وخطئه حين قال:((فمنه مستقيم حَسَن ، ومحالٌ ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب . فأما المستقيم الحسن ، فقولك : أتيتُك أمس ، وسآتيك غداً وأما المحال ، فان نقضْ أولَ كلامك بآخره فتقول : أتيتك غداً وسآتيك أمس . وأما المستقيم الكذب ، فقولك : حملتُ الجبل وشربتُ ماء البحر ونحوه ، وأما المستقيم القبيح ، فان تضع اللفظ في غير موضعه ، نحو قولك : قد زيداً رأيت...))[151]

فالمقصود من (الكلام المستقيم) نحوياً ، الكلام الذي تتوزع فيه هذه الاستقامة إلى : مستقيم حسن ، ومستقيم محال ، ومستقيم كذب ، فالجملة المستقيمة نحوياً تعد جملة مستقيمة ولكن الحكم على تلك الاستقامة ، بالحسن ، والمحال والكذب يتعلق بالمعنى الذي يتحصل من العناصر اللغوية للتركيب (الجملة)[152] .

((إن خرق معيارية الترتيب في القواعد النحوية هو ما يسمى بالانحراف الدلالي أو الانزياح الوظيفي ؛ إذ تتجاوز العلاقات السياقية في انتظامها السنن المطّردة ، إذ لا يخلو مثل هذا الانزياح من قوة تأثيرية وايجابية تتجلى في تقديم المعنى في أحسن لفظ وأروع ترتيب)) [153].

ومثل هذا الانزياح الوظيفي نلمسه في كثير من النصوص الأدبية التي عالجها النحاة والمفسرون ، ومن ذلك قول سيبويه : ((وتقول : مُطِرَ قومك الليلَ والنهارَ ، على الظرف وعلى

الوجه الآخر ، وان شئت رفعته على سعة الكلام كما قال : صيدَ عليه الليلُ والنهارُ ، وهو نهاره صائمٌ ، وليله قائمٌ ، وكما قال جرير :

لَقَدْ لمتنا يا أم غيلانَ في السُّرى ونِمتِ وما ليلُ المطيِّ بنائمِ

فكأنه في كل هذا جعل الليل بعض الاسم ، وقال الآخر :

أما النهار ففي قيد وسلسلةٍ والليلُ في قعرٍ منحوتٍ من الباح

فكأنه جعل النهار في قيد الليل والليل في بطنٍ منحوت ، أو جعله الاسم أو بعضه))[154].

والاتساع في الكلام يعني تجاوز القواعد النحوية، وفي هذا التجاوز توفير للطاقة وخلق قيمة تعبيرية بليغة ، فالوظائف السياقية المنسوبة إلى (الليل والنهار) في النص السابق مجازية خرقت الوظائف الحقيقية لها؛لإنبعاث إيحاءات دلالية لا يفي النسق القولي بها[155].

ومن ذلك الانزياح الوظيفي في قوله تعالى : ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً))[156] فقد ذكر ابن هشام أنّ (قيماً) حال من الكتاب [157]، ولكنه أوضح أنَّ مثل هذا قد يوقع في إشكال ، قال : ((إنه سمع شيخاً يعرب لتلميذه (قيماً) صفة ... لـ (عوجاً) ... فقلت يا هذا كيف يكون العوج قيماً ؟ وترحمت على من وقف من القراء على ألف التنوين في (عوجا)... دفعاً للتوهم))[158]. ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى : ((ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صمٌ بكمٌ عميٌّ فهم لا يعقلون)) [159].

وقد وجَّه العكبري قوله تعالى : (ومثل الذين كفروا) : مثل مبتدأ ، و (كمثل الذي ينعق) فيه مضاف محذوف تقدير:(داعي الذين كفروا) كالناعق بالغنم ، ومثل الذين كفروا : كالغنم المنعوق بها . وتقدير الكلام : مثل الكافرين في دعائهم الأصنام كمثل الناعق بالغنم [160]. ويعلق سيبويه على هذا النص المبارك بقوله : إنما المعنى:((مثلكم مثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى))[161] .

الخاتمة :

بعد هذه المسيرة اليسيرة مع الاتجاه الوظيفي في تراثنا اللغوي ، يمكننا الوقوف على أهم النتائج التي يمكن استخلاصها من البحث والمتمثلة في كون الفكر اللغوي العربي القديم كلاً لا يتجزأ من نحو وصرف وبلاغة وتفسير ولم تكن هذه العلوم منفصلة بل إن الأساس المعرفي لها أساس وظيفي ، ولم يكن هذا الأساس محظ صدفة ، فاللغويون القدماء درسوا اللغة انطلاقاً من

نصوص لا من كلمات منفردة فكانت هذه المقاربة مقاربة وظيفية في أساسها ترتبط بالبنية المعجمية أولاً ثم بالبنية التركيبية ثانياً ، وتمثل الأخيرة حصيلة المستويات اللغوية كاف ، كالمستوى الصوتيّ والمستوى الصرفيّ ، والمستوى النحويّ .

فالجانب الوظيفي للغة لم يكن شيئاً منفصلاً عن النظام اللغويّ نفسه فالنظام النحويّ في كل لغة مرتبط ارتباطاً مباشراً بالوظيفة التي تؤديها الجمل في السياقات المختلفة .

ومن ثمَّ يمكن عدّ التواصل اللغويّ العربي القديم مرجعاً للدرس اللسانيّ الوظيفي الحديث ــ إن صح التعبير ــ تمنح منه الآراء والمفاهيم والتحليلات المختلفة .كما كان مرجعاً في توجيه المعنى القرآني والوقوف على حيثياته ، من جهة ، وتشظي التفكير اللغوي والمعرفي إلى مجالات متعددة من جهة أخرى .

الهوامش

[1] ينظر : مبادئ اللسانيات : 297

[2] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة : 71

[3] ينظر: مناهج الدرس النحوي في العالم العربي : 305

[4] ينظر : الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة : 71 – 73 ، مبادئ اللسانيات 297 – 289

[5] ينظر : الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة : 71 – 72 ، الدلالة السياقية عند اللغويين : 24 – 28

[6] ينظر : جدل اللفظ والمعنى : 47، والدلالة السياقية عند اللغويين : 200، والاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة : 75 ، 87

[7] الإتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة : 80

[8] المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي . 283 .

[9] من مثل هذه الدراسات : المنهج الصوتي للبنية العربية ، عبد الصبور شاهين ، والصرف وعلم الأصوات ،

د. ديزيرة سقال

[10] ينظر علم الدلالة ، أحمد مختار عمر : 34

[11] ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : 135 ، النحو والسياق الصوتي ، 18 ، 25 ، دراسة الصوت اللغوي 187

[12] ينظر : اللغة معناها ومبناها : 88 ــــ89

[13] علم اللغة العام : 27

[14] دراسة الصوت اللغوي : 347

[15] علم الأصوات العام : 110.

[16] الخصائص : 1/ 65.

[17] علم الأصوات العام : 103 ، وينظر : البرهان في علوم القرآن : 1 / 342 ، وأشهر المصطلحات في فن

الأداء وعلم القراءات 28-221

[18] ينظر : المصادر نفسها .

[19] كتاب سيبويه: 92/4.

[20] المصدر نفسه: 628/3

[21] التوبة : 12

[22] ينظر : تفسير القرطبي : 8/ 85 ، ومجمع البيان : 16/5.

[23] دراسة الظواهر اللغوية في قراءة الإمام الصادق (ع) : 22

[24] ينظر : الكشاف : 2 / 243 .

[25] ينظر : مفردات ألفاظ القران : 822 ؛الكشاف : 2 / 243

[26] ينظر : المصادر نفسها.

[27] دراسة الظواهر اللغوية في قراءة الإمام الصادق (ع) : 23

[28] ينظر . مجاز القران : 1 / 262

[29] ينظر : المصدر نفسه : 299/1 ، 244/2

[30] ينظر : الأصوات اللغوية : 175 ، ومناهج البحث في اللغة ؛198

[31] ينظر : علم الأصوات العام : 100 ، ودراسة الصوت اللغوي : 310

[32] ينظر : أخبار النحويين البصريين ، 21.

[33] ينظر التفكير اللغوي : كمال بشر : 152 والنحو والسياق الصوتي : 102 – 108 .

[34] كتاب سيبويه : 1 / 301

[35] المقتضب : 3 / 228

[36] الخصائص 3 / 273

[37] المسد : 2

[38] ينظر : الكشاف : 4 / 820

[39] مباحث لسانية في ظواهر قرآنية : 19

[40] ينظر : اللغة ، فندريس: 185 .

[41] هود : 72

42 ينظر :التفسير الكبير :23/18.

43 ينظر : مناهج البحث في اللغة : 203

44 الإتقان : 2 / 89

45 ينظر : النحو والسياق الصوتي : 108 – 613

46 القرينة في اللغة العربية : 56

47 يوسف 29

48 ديوانه .

49 ينظر : القرينة في اللغة العربية : 60 —61.

50 المصدر نفسه :59

51 المنافقون : 10

52 القرينة في اللغة العربية : 60

53 المنافقون : 10

54 ينظر القرينة في اللغة العربية : 57 واللغة العربية معناها ومبناها : 266 ، ومدخل إلى الألسنية : 153.

55 علم الأصوات العام : 103 ؛ وينظر : أسس علم اللغة : 95 – 96 ، وأشهر المصطلحات في فن الأداء

والقراءات : 218 – 221.

56 ينظر : البرهان من علوم القران : 1 / 415

57 آل عمران : 64

58 ينظر : مشكل إعراب القرآن : 162.

59 مباحث لسانية في ظواهر قرآنية : 16 – 17 .

60 ينظر : مبادئ اللسانيات : 185

61 المصدر نفسه : 185

62 الدلالة السياقية عند اللغويين : 46 – 47

63 ينظر : مدخل إلى دراسة الصوت العربي : مصطفى النحاس

64 ينظر : الممتع في التصريف : 31 – 32 ، ومدخل إلى دراسة الصوت العربي : 13 ومبادئ اللسانيات :

188 – 190

65 ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : 111 – 131.

66 مدخل إلى دراسة الصرف العربي : 13

67 الخصائص : 3 / 98 .

68 ينظر : جدل اللفظ والمعنى : 49.

69 الكتاب : 1 / 181 – 182 ، وينظر : الاصول في النحو : 2 / 14 .

70 العاديات : 1 ـــ 5.

71 تفسير الجلالين : 1 / 818 .

72 ينظر : النظام النحوي في القران الكريم :336

73 الخصائص : 2 / 155 – 156

74 المنصف: 100 - 101 ، وشرح الشافية : 1/106ـــ 113

[75] ينظر : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : 39.

[76] ينظر : القرينة في اللغة العربية :72، والنحو والسياق الصوتي : 46.

[77] ينظر : مباحث لسانية في ظواهر قرآنية : 19

[78] ينظر : الصاحبي : 220 ، والخصائص : 1 / 152 - 153

[79] المقتضب : 2 / 219 ، ومعاني الأبنية : 62 – 63

[80] ينظر : الكتاب : 4 / 44 المقتضب : 3 / 230 – 231 ، 246 ، وشرح الشافية : 3 / 524

[81] التأويل النحوي في القران الكريم : 2 / 1445 .

[82] هود : 43 .

[83] ينظر : مباحث لسانية في ظواهر قرآنية : 20 .

[84] الطارق :6

[85] التفسير الكبير : 31 / 117 ، وتفسير القرطبي : 20 / 4 ، والبحر المحيط : 8 / 449 .

[86] القمر : 44 .

[87] التفسير الكبير : 29 / 60 .

[88] ونقف على هذه الصيغة في سورة : النساء : 23 ، الإسراء : 2 ، الكهف : 45 ، النحل : 58 ، مريم : 20 يس : 32 ، 53 ، الشعراء : 18 ، الشورى : 6 ، الدخان : 51 ، ق : 9 ، 10 القمر : 31 ، القلم : 20 ، التكوير : 25 ، البينة : 6 .

[89] وذلك من مثل سورة : مريم : 6 ، 14 ، الفرقان : 55 ، سبأ : 7 .

[90] وذلك من مثل سورة البقرة : 117 ، الفرقان : 1 ، الملك : 17 .

[91] ينظر: مثلاً سورة لقمان : 2 .

[92] ينظر : التأويل النحوي في القران الكريم : 2 / 1446 .

[93] ينظر : الإعجاز الصرفي القرآن : 106

[94] ينظر الإعجاز الصرفي : 141 ، 149 .

[95] اسلوب الالتفات : 46 .

[96] هود : 54

[97] الكشاف : 2 / 282 .

[98] ينظر : الإعجاز الصرفي : 157

[99] الحج : 5

[100] ينظر: مجاز القران : 2 / 151

[101] أسلوب الالتفات : 116

[102] ينظر : مباحث لسانية في ظواهر قرآنية :21 ، والنحو والسياق الصوتي :49

[103] مناهج البحث في اللغة : 199 .

[104] طه : 58

[105] هود : 81

[106] الحجر : 43

[107] ينظر : مباحث لسانية في ظواهر قرآنية : 21 – 22 ، والإعجاز الصرفي : 182

[108] ينظر : مباحث لسانية في ظواهر قرآنية : 22.

[109] البقرة : 282.

[110] ينظر: البحر المحيط : 370/2.

[111] ينظر : معاني القرآن للفراء : 187/1، والبحر المحيط : 320/2 .

[112] ينظر : التوجيه النحوي والصرفي في كنز العرفان في فقه القرآن : 204.، آلاء عبد نعيم ، رسالة ماجستير ، جامعة القادسية ، كلية التربية ، 2003.

[113] من أهم هذه الدراسات التي تناولت الاتجاه الوظيفي ، دراسة الدكتور أحمد المتوكل في كتبه : المنحى

الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد ، واللسانيات والوظيفة .

[114] ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : 178.

[115] الاقتراح : 14

[116] المقتضب : 4 / 311

[117] الخصائص : 3 / 255

[118] ينظر : المعنى في تفسير الكشاف للزمخشري : 107 – 108 ، د. نجاح فاهم العبيدي ، اطروحة دكتوراه ،

كلية التربية ، بابل ، 2008م

[119] ينظر : مباحث لسانية في ظواهر قرآنية : 60.

[120] دراسات في اللسانيات العربية : 169 – 170 ، وينظر : النحو والدلالة : 21 . الوظائف النحوية بين

المركزي والهاشمي : 2

[121] مفهوم الجملة في كتاب سيبويه : 253

[122] ينظر: دراسات في اللسانيات العربية : 171

[123] كتاب سيبويه : 1 / 103 ، وينظر : 312 ، 375 ، 376 ، 2 / 19 ، 2 / 92 ، 3 / 28 .

[124] كتاب سيبويه : 3 / 49

[125] ينظر : مفهوم الجملة عند سيبويه : 255 .

[126] مغني اللبيب : 2 / 853 .

[127] ينظر : دراسات في اللسانيات العربية : 172

[128] ينظر : الوظائف النحوية بين المركز والهامش : 2.

[129] المصدر نفسه : 38 – 39

[130] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة: 81ـــ 83

[131] ينظر : المدخل إلى علم اللغة : 126

[132] علم اللغة الاجتماعي ؛ 66.

[133] ينظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : 252 – 253 ، والكلمة دراسة لغوية معجمية 157 – 158 ، ودراسة المعنى عند الأصوليين : 214.

[134] نظرية القرائن في التحليل اللغوي : 10 .

[135] كتاب سيبويه : 1 / 392 .

[136] الزمر : 73

[137] البقرة : 165

[138] كتاب سيبويه : 3 / 103

[139] ينسب البيت للفرزدق ولم أقف عليه في ديوانه.

[140] كتاب سيبويه : 1 / 76 ، وينظر : 47 ، 74 ، 212 ، 283 ، 3 / 104

[141] ينظر : جدلية اللفظ والمعنى :53

[142] ينسب محقق الكتاب هذا البيت للشاعر : نعيم بن الحارث بن يزيد . ينظر : اللسان: (ردع) ، ولم استطع الوقوف عليه.

[143] الخصائص : 1 / 245 – 246 ، وينظر : 19 ، 35 ، 66 ، 2 / 370 .

[144] ينظر : نظرية النحو العربي : 93

[145] النحو والدلالة : 228 . وينظر : مصطلحات الدلالة العربية : 110

[146] ينظر : دلائل الإعجاز : 98 ، 117 .

[147] ينظر : مفتاح العلوم : 247

[148] ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : 188

[149] المصدر نفسه : 186 ، 189

[150] ينظر : نظرية المعنى في الدراسات النحوية : 22

[151] كتاب سيبويه :160/1.

[152] ينظر : البحث الدلالي في كتاب سيبويه : 35 – 36

[153] ينظر : البحث الدلالي في كتاب سيبويه : 398 ، الدلالة النحوية بين الخرق والمعيارية : 4

[154] كتاب سيبويه : 1 / 160 – 161

[155] ينظر : البحث الدلالي في كتاب سيبويه : 394، 396.

[156] الكهف :7.

157 ينظر : مغني اللبيب : 692/2، وأضواء البيان : 193/3.

158 مغني اللبيب : 2 / 692

159 البقرة : 171

160 ينظر التبيان في إعراب القران : 1 / 140.

161 كتاب سيبويه : 1 / 212 .

ثبت المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

الإتقان في علوم القران ، جلال الدين السيوطي (911 هـ) ، دار مكتبة ،الهلال ، لبنان .

- أسس علم اللغة ، ماريوباي ، ترجمة د.أحمد مختار عمر ، عالم الكتاب القاهرة، 1998 .
- أسلوب الإلتفات في البلاغة القرآنية ، د.حسن طبل ، 1990 م.
- أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات ، أحمد محمد عبد السميع ، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001 م
- أضواء البيان في إيضاح القران بالقران ، محمد الأمين الشنقيطي ، تح:مكتب البحوث والدراسات ، بيروت ، 1995 م
- الإعجاز الصرفي في القران الكريم ، د.عبد الحميد أحمد يوسف، ط 1،المكتبة العصرية بيروت ، 2001م
- الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2006م
- البحث الدلالي في كتاب سيبويه ، د.دلخوش جار الله حسين ،ط1 ، دار دجلة، الأردن ، 2007 .
- البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001م
- البرهان في علوم القران، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (794 هـ)، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988م .

- التأويل النحوي في القران الكريم ، د. عبد الفتاح أحمد الحموز ، ط 1 ، مكتبة الرشد المملكة العربية السعودية ، 1984م .
- التبيان في إعراب القران ، أبو البقاء العكبري ، تح : علي البجاوي ، بيروت ، 1987م .
- تفسير الجلالين ، للسيوطي (911 هـ) ، ط1 ، دار الحديث ، القاهرة .
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، فخر الدين الرازي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000م .
- التفكير اللغوي بين القديم والحديث ، د.كمال بشر ، دار الثقافة العربية .
- الجامع لأحكام القران : لأبي عبد الله القرطبي (ت 671 هـ) ، دار الشعب القاهرة
- جامع البيان عن تأويل آي القران ، محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ، بيروت ، 1405 هـ .
- جدل اللفظ والمعنى ، دراسة في دلالة الكلمة ، د. مهدي أسعد كرار ، ط 1 ، دار وائل للنشر ، الأردن ، 2002 م .
- الخصائص ،أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت.
- دراسات في اللسانيات العربية ، د.عبد الحميد السيد ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2003
- دراسة الصوت اللغوي ، د.أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1991 م .
- دراسة المعنى عند الأصوليين ، د.طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، الإسكندرية .
- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني ، صممه الأستاذ محمد عبده ومحمد الشنقيطي ، مصر . (د . ت) .
- الدلالة السياقية عند اللغويين ، د. عواطف كنوش المصطفى ، ط 1 ، دار السياب للطباعة والنشر، لندن 2007 م .
- ديوان عمر بن أبي ربيعة ،
- ديوان الفرزدق ، شرح الاستاذ : علي فاعور ،ط1، بيروت ، (د.ت).
- شرح شافية أبن الحاجب ،رضي الدين الاسترابادي (686 هـ)، شرح وضبط ، محمد نورالحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1975 م .

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها ،أبو الحسن أحمد بن فارس ، تح: مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران لطباعة والنشر ، بيروت ، 1964م.
- الصرف وعلم الأصوات ، د.ديزيرة سقال ، دار الصداقة العربية ، بيروت ، 1996م
- علم الأصوات العام ، د.بسام بركة ، مركز الإنماء القومي ، لبنان .(د.ت)
- علم الدلالة ، د.أحمد مختار عمر ، ط1 ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، 1982 .
- علم اللغة الاجتماعي ، د.كمال بشر ، دار الثقافة العربية ، 1994 م .
- علم اللغة العام ، مقدمة للقارئ العربي ، د.محمود السعران ، دار الفكر العربي،القاهرة 1999م .
- القرينة في اللغة العربية ، د.كولينزار كاكل عزيز ، ط1، دار دجلة ، الأردن، 2009م.
- كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تح : د.عبد السلام هارون ، ط4 ، مكتبة الخانجي القاهرة ، 2004
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم الزمخشري، تح : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ت) .
- الكلمة دراسة لغوية معجمية د.حلمي خليل ، ط2 ، 1992 .
- اللسانيات والوظيفة (مدخل نظري) ، د.أحمد المتوكل ، ط 2 ، بيروت ، 2010
- اللغة ،فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ، مكتبة الانجلو المصرية (د . ت)
- اللغة العربية ، معناها ومبناها ، د.تمام حسان ،ط2 ، الهيأة المصرية للكتاب ، 1973 م .
- مباحث لسانية في ظواهر قرآنية ، د.مهدي أسعد كرار ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2008 م .
- مبادئ اللسانيات ، د.أحمد محمد قدور ، ط3 ، دار الفكر ، دمشق ، 2008م .
- مجاز القران ، أبو عبيدة معمر بن المثنى (210هـ) ، تح : محمد فؤاد ،مكتبة الخانجي (د . ت) .
- مجمع البيان في تفسير القران ، أبو علي بن الحسن الطبرسي (548 هـ) منشورات دار مكتبة الحياة بيروت (د . ت) .

- مدخل إلى الألسنية ، يوسف غازي ، ط 1 ، منشورات العالم العربي ، دمشق، 1985
- مدخل إلى دراسة الصوت العربي ، د.مصطفى النحاس، ط1،مكتبة الفلاح،الكويت، 1981 م .
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د.رمضان عبد التواب ط 2 ، مكتبة الخانجي القاهرة ، 1997م .
- المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي ، د.خليل أحمد عمايرة ، ط 1 ، دار وائل للنشر الأردن ، 2004م
- مشكل إعراب القرآن ، مكي القيسيّ تحقيق : د. حاتم الضامن ، ط 1، بيروت (د. ت)
- مصطلحات الدلالة العربية ، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ، د.جاسم محمد عبد العبود ، ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2007م .
- معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل السامرائي ، ط1 ، الكويت ،1981م.
- معاني النحو ، د.فاضل السامرائي ، ط2 ، دار الفكر للطباعة والنشر الأردن، 2003
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري (761هـ) ، تح : د.مازن المبارك محمد علي حمد الله ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر .
- مفهوم الجملة عند سيبويه ، د.حسن عبد الغني الأسدي،ط 1،دارالكتب العلمية، بيروت ، 2007 م .
- المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (285هـ) تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، 1386هـ .
- الممتع في التصريف ، ابن عصفور الأشبيلي (669هـ) ، تح : د.فخر الدين قباوة،
- الدار العربية للكتاب 1983 م .
- مناهج البحث في اللغة ، د.تمام حسان ، دار الثقافة للنشر ، المغرب ، 1979م
- مناهج الدرس النحوي في العالم العربي ، د.عطا محمد موسى ، ط1 ، دار الإسراء ، 2002م
- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، الأصول والامتداد ،د.أحمد المتوكل، ط1 ، دار الأمان الرباط ، 2006م
- المنهج الصوتي للبنية العربية ، د.عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، سوريا ،1980م

- المنصف،أبو عثمان بن جني (392هـ) ، تح : محمد عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1997 م
- النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، د.محمد حماسة عبد اللطيف دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2006م .
- النحو والسياق الصوتي ، د.أحمد كشك ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2006 .
- النظام النحوي في القران الكريم ؛ دلائل الكلم ، د.عبد الوهاب حسن حمد ، ط 1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، 2010 م .
- نظرية المعنى في الدراسات النحوية ، د.كريم حسن ناصح ، ط 1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2006 م .
- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ، د.نهاد الموسى ، ط1 المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1980 م

البحوث :

- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ، د.يحيى أحمد ، مجلة عالم الفكر ، المجلد 20 العدد 3 - الكويت ، 1989 .
- دراسة الظواهر اللغوية في قراءة الصادق (ع) ، فليح خضير شني ، آلاء عبد نعيم مجلة جامعة كربلاء، المجلد الرابع ، ع (2) ، 2006 م .
- الدلالة النحوية بين الخرق والمعيارية ، د.أحمد عرابي ، الجزائر ، منتدى الإيوان،(الانترنت) .

الأطاريح :

- التوجيه النحوي والصرفي في كنز العرفان في فقه القرآن ، آلاء عبد نعيم رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة القادسية ، 2003م .
- المعنى في تفسير الكشاف للزمخشري ، د.نجاح فاهم العبيدي ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة بابل 2008م .